

أنا وأنت على الطريق  
زواج الأقارب

صديقتي ، زواج الأقارب يضرُّ بصحة الأطفال... تحت هذا العنوان جاء التقرير التالي الذي أوردته إحدى الصحف العربية:

قال مختصون إن الزواج بين الأقارب من شأنه الإضرار بالأطفال وتعريض صحتهم للخطر نظرا للاختلالات الوراثية التي تنتسب فيها تلك الزيجات. وقالت الخبيرة بقوانين الأحوال المدنية ببريطانيا البروفسورة البارونة ديتش: إنها ستطالب بإطلاق حملة شعبية قوية في محاولة لمنع هذه الزيجات التي تُعدُّ سائدة بشكل أكبر بين الجاليات المتعددة وخاصة المسلمة. وذكرت صحيفة تايمز أن ديتش ستعيد إلى الواجهة جدلا ونقاشات بدأت في بريطانيا قبل خمس سنوات. مضيئة أن نسبة الزيجات بين الجيل الأول من أبناء الخوولة والعمومة عند الجالية الباكستانية بلغت ٧٥% بمنطقة برادفورد.

ويتابع التقرير قائلا: وبينما يشكل مجمل الولادات بين أبناء الجالية ما نسبته ٣% بالمقارنة مع الولادات البريطانية بشكل عام إلا أن ثلث الأطفال البريطانيين من أصل باكستاني يعانون من جراء تشوهات خلقية واختلالات وراثية. وتلقي ديتش محاضرة بالمتحف البريطاني بلندن ضمن سلسلة تعنى بقوانين الأسرة قدمتها تحت إشراف كلية غريشام محذرة من الزيجات بين أبناء العمومة والخوولة المباشرين لكونها تمنع تحقيق اندماج الجاليات المهاجرة بالمجتمع مطالبة بفحص الاختلالات الوراثية وتسجيل حالات المصابين بها.

وتقترح الليدي ديتش الخبيرة بقوانين الأحوال المدنية في بريطانيا بأنه على الرغم من احترام حقوق الإنسان والممارسات الدينية والثقافية وعدم منع زواج أبناء العم والخال إلا أنه على المعنيين معرفة العواقب المتأتبة من جراء هذه الزيجات. وإذا كانت نسبة الزواج بين الأقارب في مدينة برادفورد تصل إلى ٧٥% فإن الحال لا يختلف كثيرا عنه في برمنغهام التي تضم جالية كبيرة من المهاجرين. حيث تصل نسبة الوفيات أو الإعاقة بين الأطفال المولودين من والدين تجمعهما القرابة القوية ١٠%. وبينما ترى ديتش أن ظاهرة زواج الأقارب تقترب بالمهاجرين والفقراء وأنها تتعارض مع حرية الاختيار والحب العاطفي الحقيقي ومبدأ الاندماج، تقول إن التثقيف والتوعية يلعبان دورا كبيرا في الحد من تلك الظاهرة.

نعم، يا سيدتي، هذه الظاهرة المنتشرة ليس في بلادنا العربية فحسب بل في البلاد الغربية أيضا من قبل الجاليات المتعددة المهاجرة العربية أو غير العربية. وبالطبع فإن زواج الأقارب وخاصة الأقارب المباشرين، ينتج عنه مشاكل صحية في الجيل الثاني. وإذا عدنا لتتعرف إلى بداية هذه العادة فسنجد أن في سفر التكوين من الكتاب المقدس قد انتشرت هذه العادة عادة الزواج من الأقارب المقربين جدا. ولكن السبب يعود في ذلك الحين إلى أن الخليقة كانت في بدايتها ولم يكن هناك أناس على الأرض سوى القلائل. أما الآن فما هو السبب يا ترى؟ ولماذا هذه العادات منتشرة في مجتمعاتنا العربية وبين الجاليات المهاجرة؟ سألت مرة سيدة متروجة من قريب لها عن الموضوع. فقالت لأن الاعتقاد السائد هو أن نحافظ على ثروة العائلة وهكذا تبقى ضمن العائلة ولا تطلع إلى الغريب. نعم لكن ماذا عن الأمراض والاختلالات التي يعاني منها الأطفال من جراء هذه الزيجات يا ترى؟ ألسنا نحن الأهل مسؤولين عنها؟ فعندما ينمو الإنسان ويتكاثر، يعمل ما في وسعه ويضع كل جهده لكي يكون الطفل الذي سينجبه صحيحا ومعافى. أليس كذلك؟ فإذا كان هذا هو الهدف فلماذا نحن ماضون إذن في اتباع هذه العادات والتقاليد التي تنتج عكس ما نريد؟

حري بنا أن نهتم بأطفالنا فلذات أبادنا لكي تكون صحيحة جسدا ونفسا وروحا. هذا هو الاستثمار الحقيقي وليس محاولة إبقاء الثروة أو في قلب العائلة. الاستثمار الصحيح في أن نحصل على جيل معافى صحيح. فإذا كنا حقا نقدر النفس البشرية يا سيدتي فلا بد أن نقوم بكل ما أوتينا من قوة لكي نحافظ عليها كاملة ومتكاملة. إن أطفالنا هم عطية منه تعالى، ونفوسهم غالية ولا تقدر بثمن. فهل نسلك بالحكمة وننجب أولادا أصحاء ونوجههم في السلوك الصحيح؟ وهنا يقول النبي والملك سليمان ناصحا: "إذا دخلت الحكمة قلبك ولذت المعرفة لنفسك، فالعقل يحفظك والفهم ينصرك. "توكل على الرب بكل قلبك وعلى فهمك لا تعتمد. في كل طرقك اعرفه وهو يقوم سبلك. هذا هو ما يقوله الله بروحه القدوس على لسان عبده. فهل تطلبين الحكمة من الله يا سيدتي لكي تتصرفي بحسبها فتتقذي الجيل الجديد من أي ضرر يلُمُّ به في المستقبل؟

\*\*\*\*\*